

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(224) 4. الفتح لغاية مغفرة الذنب الآية تدل على أنَّ الغاية المتوخاة من الفتح هي مغفرة ذنب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ما تقدّم منه وما تأخّر، غير أنَّ في ترتب تلك الغاية على ذنبها غموضاً في بادئ النظر، والإنسان يستفسر في نفسه كيف صار تمكينه سبحانه نبيّاً من فتح القلاع والبلدان، أو المهادنة والمصالحة في أرض الحديبية مع قريش، سبباً لمغفرة ذنوبه، مع أنّه يجب أن تكون بين الجملة الشرطية والجزائية رابطة عقلية أو عادية، بحيث تعدّ إحداها علّة لتحقيق الأخرى أو ملازمة لها، وهذه الرابطة خفية في المقام جداً، فإنّ تمكين النبي من الأعداء والسيطرة عليهم يكون سبباً لانتشار كلمة الحق ورفض الباطل واستطاعته التبليغ في المنطقة المفتوحة، فلو قال: إنّنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، لتتمكن من الإصحار بالحق، ونشر التوحيد، ودحض الباطل، كان الترتب أمراً طبيعياً، وكانت الرابطة محفوظة بين الجملتين. وأمّا جعل مغفرة ذنوبه جزاء لفتح صقعا من الأصقاع، فالرابطة غير واضحة. وهذه هي النقطة الحساسة في فهم مفاد الآية، وبالتالي دحض زعم المخطئة في جعلها ذريعة لعقيدتهم، ولو تبيّنت صلة الجملتين لاتّضح عدم دلالتها على ما تتبنّاه تلك الطائفة. فنقول: كانت الوثنية هي الدين السائد في الجزيرة العربية، وكانت العرب تقدّس أوثانها وتعبد أصنامها، وتطلب منهم الحوائج، وتتقرب بعبادتها إلى الله سبحانه هذا من جانب، ومن جانب آخر: جاء النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) داعياً إلى التوحيد في مجالى الخلق والامر، وإلى حصر التقديس والعبادة في الله، وأنّه